

سلسلة أوراق: دراسات حالة عن التغيرات الدولية
وتأثيرها على المنطقة العربية



روسيا

عبد الهادي العجلة

منتدى البدائل العربي للدراسات (AFA)

بناية وست هاوس 3، ش جان دارك الحمرا، بيروت، لبنان، مكاتب أوليف غروف

www.afalebanon.org

Tel: [+96176386477](tel:+96176386477)

Mail: info@afalebanon.org

Facebook: [@AFAAlternatives](https://www.facebook.com/AFAAlternatives)

Twitter: [AFAAlternatives](https://twitter.com/AFAAlternatives)

Youtube: [AFAAlternatives](https://www.youtube.com/AFAAlternatives)

Skype: [arab.forum.for.alternatives](https://www.skype.com/arab.forum.for.alternatives)

عودة الروس: الشعبية الروسية وتأثيرها على منطقة الشرق الأوسط

Between Populism and Putinism: Russia in the Middle East

عبد الهادي العجلة

كاتب وباحث. يعمل كباحث مشارك في معهد انواع الديمقراطية إلى جانب منصب المدير الإقليمي لمنطقة الشرق الأوسط والخليج في جامعة جوتنبرج السويدية.

منتدى البدائل العربي للدراسات (AFA): مؤسسة بحثية تأسست عام 2008 وتسعى لتكريس قيم التفكير العلمي في المجتمعات العربية، وتعمل على معالجة القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية في إطار التقاليد والقواعد العلمية بربط البعدين الأكاديمي والميداني.

ويعمل المنتدى على توفير مساحة لتفاعل الخبراء والنشطاء والباحثين المهتمين بقضايا الإصلاح في المنطقة العربية، تحكمها القواعد العلمية واحترام التنوع، كما يحرص على تقديم البدائل السياسية والاجتماعية الممكنة، وليس فقط المأمولة لصانع القرار وللنخب السياسية المختلفة ومنظمات المجتمع المدني، في إطار احترام قيم العدالة والديمقراطية وحقوق الإنسان .
ومن أجل ذلك يسعى المنتدى لتنمية آليات للتفاعل مع المؤسسات المحلية والإقليمية والدولية المهتمة بمجالات التغيير والإصلاح. ويرتكز المنتدى في عمله في هذه المرحلة على ثلاثة محاور: تحليل السياسات والمؤسسات العامة، المراحل الانتقالية والتحول الديمقراطي، الحركات الاجتماعية والمجتمع المدني.

هذه الأوراق نتاج ورشة عمل بالتعاون مع مؤسسة المجتمع المفتوح.

الورقة تعبر فقط عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي منتدى البدائل العربي للدراسات أو أي مؤسسة شريكة.

خلفية

لم يكن صعود الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الأول من نوعه كرئيس شعبي، بل كان امتدادًا للشعبوية التي اجتاحت العديد من الدول التي سبقت الولايات المتحدة بسنوات، كدولة روسيا الاتحادية المتمثلة بصعود فلاديمير بوتين رئيسًا شعبيًا كان له الأثر الواضح على خارطة العلاقات الدولية والسياسات الخارجية في السلم والحرب. فمن التدخل الروسي في جورجيا ومؤخرًا في سوريا، وزج الآلاف من الروس في الحرب السورية إلى الحرب في أوكرانيا وضم جزيرة القرم، إلى العلاقات مع تركيا وإيران ومحاولات اللعب على خلق توازنات في سوريا، ومؤخرًا محاولات بوتين توفير دعم معنوي لرئيس وزراء إسرائيل عبر استقباله ومساعدته في استعادة رفاة جندي إسرائيلي قبل أسبوع من الانتخابات الإسرائيلية. كيف نفسر ذلك؟ وما نتائج الشعبية الروسية في الشرق الأوسط؟

نحاول في هذا البحث أن نبحث عن أصول الشعبية البوتينية في روسيا وكيفية تشكلها، ومحاولة مقارنة الشعبية الروسية للشعبيات العربية الصاعدة والديكتاتوريات والممالك. يحاول البحث الخوض في تأثير الشعبية الروسية في البلاد العربية عبر مسارين: المسار الأول هو تأثير البوتينية على الأنظمة الحاكمة، وهنا نعني التدخل الروسي في الدول العربية من خلال التجارة وبيع الأسلحة والدعم المباشر بالسلاح، والمسار الثاني هو تأثير الشعبية الروسية بشكل عام على الدول العربية وشعوبها من خلال الإعلام والتأثيرات الإقليمية والدولية. لذلك فإن سؤال البحث الرئيس الذي تعالجه هذه الورقة هو: ما هي تأثيرات الشعبية الروسية والبوتينية على البلاد والشعوب العربية؟

الشعبوية البوتينية

يعتبر تعريف الشعبية من أكثر التعبيرات خضوعًا للتأويل والتفسير في الوقت الحالي نظرًا لشيوع استخدامه لوصف أنظمة وأحزاب وشخصيات سياسية، ظهرت في الفترة الأخيرة، في الغرب والشرق. إن الشعبية التي نراها اليوم ونسمعها في الأخبار وناقشها الباحثون والسياسيون وصنّاع القرار هي "الشعبوية الجديدة". وفي تعريف الشعبية الجديدة، يقول Taggart إن الشعبية الجديدة هي مجموعة من الحركات السياسية والاجتماعية التي لها في أغلب الأحيان طابع وتوجه يميني، ونشأت في الديمقراطيات الليبرالية وتشكل تحديًا للنظم السياسية والأحزاب السياسية القائمة¹. ومع أن الشعبية الجديدة تظهر وكأنها سهلة التعريف والتحديد والتصنيف، إلا أنها تثير مجموعة من القضايا المثيرة للاهتمام التي توضح وترسم العلاقة الإغرائية بين الشعبوي والديمقراطي. وعادة ما تكون هذه الحركات تصادمية في سلوكها وبرامجها مع الأنظمة ومع الحركات الأخرى أو مع دول خارجية أحيانًا (خلق عدو وهمي لضمان البقاء)، فهذه الحركات والأنظمة الشعبية تبرز نفسها كالمصدر الصحيح والناطق بالحق للسلطة الشرعية المستمدة من الشعب. وهنا تجب الإشارة إلى أن النظم والأحزاب الشعبية تدّعي أن الأحزاب والنظم الحاكمة الحالية تتجاهل مصالح الشعب ورغباته؛ لا سيما وأن برامجها تعبّر بشكل واضح عن مدى الانتعاع الذاتي لسياسيها وأحزابها، بينما الأحزاب الشعبية الموجودة في السلطة مثل روسيا وإيطاليا والنمسا والمجر فهي تبرز نفسها كمصحح للأخطاء والسياسات السابقة وتقوم بشكل مباشر بتغييرات دستورية أو قانونية تسمح لها باللعب على عواطف

¹Taggart, P. T. (1995). New Populist Parties in Western Europe. *West European Politics*.
<https://doi.org/10.1080/01402389508425056>

الشعوب ومخاوفها. في جلّ الدول، لا تقبل ولا تطلق هذه الأحزاب على نفسها اسم أحزاب أو أنظمة شعبية. وعلى الرغم من وجود ترابط كبير في الأفكار والديناميكيات والأدوات، إلا أنهم يرفضون قبول كونهم فروغاً لأيديولوجية عالمية من الشعبويين والفكر اليميني، فعلى الرغم من تعدّد الاختلافات بين الصفات والخصائص السياسية لتلك الأحزاب والأنظمة، إلا أنهم يشتركون في الرسالة ومضمونها وأدواتها. ويدعي الشعبويون أنهم يتحدثون باسم المنسيين أو الشعب المسحوق وطبقاته الكادحة ويتلّونون بألوان المحيط الاجتماعي كذلك. عندما يقومون بحملة معينة فإنهم يستخدمون القيم والمخاوف المحلية كما يشكلون تحدياً للنظام السياسي والأحزاب السياسية المحلية بناءً على القيم والسياسيات المحلية². ويتم استخدام الإعلام والأدوات الإعلامية التقليدية وغير التقليدية كوسائل التواصل الاجتماعي التي تعاني من فجوات عميقة استخدمها ويستخدمها الشعبويون واليمينيون في التأثير على الشعوب.

روسيا البوتينية "ليست ديمقراطية، ولكن هي روسيا الشعبية من الشعب وإلى الشعب. القاعدة الانتخابية لبوتين هي الشعب وقوة بوتين تأتي من الشعب". هكذا يصف اندرانيك ميجرانيان الوضع الحالي في روسيا³. ولكن الشرعية السياسية في روسيا لا تأتي عبر الانتخابات. منذ بدء حقبة بوتين كرئيس للبلاد، تبنى بوتين سياسة داخلية مختلفة. فهو لم يعزز فقط الوطنية الروسية⁴ ومعاداة اللاجئين والغرب ولكنه عمل على تقوية "اللاسياسة" والشعبوية الروسية. من هنا نرى أن قرارات التدخل الخارجي الروسي تكون مندفعة من بوتين نفسه أكثر منها كخيار للشعب الروسي، ولكن في ذات الوقت، نرى أن الشعبية الروسية الداعمة لخطوات بوتين موجودة على الساحة الروسية. في ذات الوقت، نرى أن الشعبية الروسية قد امتدت للمنطقة العربية، عبر بوتين نفسه وليس عبر التأثير المباشر للشعب الروسي على دول المنطقة. إذا، نرى، هنا، أن مفهوم الشعبية له مسار مختلف في تأثيره على منطقة الشرق الأوسط مقارنة بالدول الغربية الأخرى التي لها تأثير مباشر شعبياً وسياسياً على صعيد الأنظمة السياسية والشعوب وخصوصاً المهاجرين.

عندما جاء بوتين للحكم عام ١٩٩٩ كانت روسيا تمر ببداية عقد من التنمية والنمو الاقتصادي بعد أكثر من عقد من المشاكل الاقتصادية التي ضربت الاتحاد السوفيتي وتركت اقتصاده هشاً. أدى النمو الاقتصادي منذ بدايات مرحلة بوتين إلى توسيع الطبقة الوسطى واستخدم بوتين التحسن الاقتصادي كإحدى أدواته لتأكيد وتوسيع قوته المركزية، بما فيها إضعاف البرلمان الروسي (الدوما) لصالح السلطة التنفيذية. إضافة إلى ذلك، عمل بوتين على تغييب الأحزاب السياسية والحركات الاحتجاجية كما عمل على إضعاف مؤسسات المجتمع المدني، وعمل بشكل كبير على إظهار نفسه كالفائد المنقذ والقادر على تحقيق التقدم والمحافظة على روسيا⁵.

تتأطر الشعبية السياسية كجزء أساسي من الحالة الديمقراطية وخصوصاً الغربية إذ أن الديمقراطية الليبرالية الغربية لها مكونان أساسيان هما الليبرالية والأخر هم الديمقراطية/ الشعبية. ففي حين تعنى الليبرالية بالحقوق الفردية وحقوق الإنسان وسيادة القانون، وتكون في الأغلب مكتوبة في قوانين ودساتير الدول، تتعلق الديمقراطية بالإرادة السياسية للأفراد والتي يتم

² Ibid.

³ Julia Loffe. (2018). What Putin Really Wants. Retrieved May 5, 2019, from <https://www.theatlantic.com/magazine/archive/2018/01/putins-game/546548/>

⁴ Sakwa, R. (2004). *Putin: Russia's choice* (1st ed.). London: Routledge.

⁵ Casula, P. (2013). Sovereign Democracy, Populism, and Depoliticization in Russia. *Problems of Post-Communism*. <https://doi.org/10.2753/ppc1075-8216600301>

التعبير عنها في الاستفتاءات أو الانتخابات أو الديمقراطية التشاورية⁶. يركّز الشعبويون على الشرط الثاني وهو الإرادة السياسية للأفراد أي قوة الإرادة السياسية فقط من دون التركيز على المكون الليبرالي والذي يشمل بشكل كبير المجتمع المدني والتشاور وتعدد الأحزاب وغيرها⁷.

في الشعبية، يحاول الشعبويون الوصول إلى السلطة وعند الوصول يعملون على تحويل الديمقراطيات إلى أنظمة شعبية إذ يجري تكميم الأفواه وتحييد المعارضين والتضييق على المجتمع المدني والصحافة بالإضافة إلى خلق شبكة من المصالح لشراء الولاءات لتحقيق مكاسب سياسية مستدامة. وفي الأنظمة غير الديمقراطية أساسًا تتحوّل تلك الأنظمة إلى سلطة الرجل الواحد المبنية على أساس أيديولوجية سلطوية أمنية قمعية تحظى بدعم شعبي نسبي نتيجة تحييد الآراء ومصادر المعلومات المعارضة التي يمكن أن تقدم رواية سياسية واجتماعية مضادة.

لم تعمل روسيا البوتينية فقط على تحييد المعارضين السياسيين ومؤسسات المجتمع المدني، حيث أصدر بوتين والدوما قانونًا يصف أي مؤسسة روسية تستقبل أموالاً من الخارج بـ "العميل الخارجي"⁸ بل قامت كذلك بتحجيد رجال الأعمال وأصحاب الأموال الذين عارضوا سياسات بوتين من خلال زجهم في المحاكم بناءً على تهمة قديمة من التسعينيات والثمانينيات⁹. وعلى الرغم من كل ذلك، لم يأبه الشعب الروسي بهذه التغيرات بسبب ارتفاع حس الوطنية القومية الروسية والتي تستمد عنفوانها من الرواية التاريخية للروس والعلاقة بين الكنيسة الأرثوذكسية الروسية والمجتمع الروسي المحافظ¹⁰. كما أن تقديم وإبراز القيم الروسية المحافظة كبديل للقيم الأوروبية الليبرالية المنفتحة المبنية على حقوق الإنسان والتعددية لعبت دورًا مهمًا في تعزيز القومية الروسية وشعبويتها وخصوصًا في ما يتعلق بحقوق الأقليات الدينية، والمتليين والنساء. فكانت روسيا البوتينية تبرز نفسها كحصن مناهض للقيم الانحلالية -بحسب رأيهم- خصوصًا في ما يتعلق بالأسرة والعلاقات العائلية. كان ذلك أحد أهم أركان الحملة الانتخابية والدعائية لبوتين في الانتخابات لعام 2012، وهي مبنية على أسس الحركات الفكرية اليمينية المحافظة¹¹. وعلى الرغم من ذلك، فقد عمل طاقم بوتين على بناء دعايتهم على فصل الإثنية العرقية عن القومية الروسية

⁶ Canovan, M. (2004). Populism for political theorists? *Journal of Political Ideologies*, 9(3), 241–252.

⁷ Mény, Y., & Surel, Y. (2016). The Constitutive Ambiguity of Populism. In *Democracies and the Populist Challenge*. https://doi.org/10.1057/9781403920072_1

⁸ Bogdanova, E., Cook, L. J., & Kulmala, M. (2018). The Carrot or the Stick? Constraints and Opportunities of Russia's CSO Policy. *Europe-Asia Studies*. <https://doi.org/10.1080/09668136.2018.1471803>

⁹ Yakovlev, E., & Zhuravskaya, E. (2016). State Capture: From Yeltsin to Putin. In *Corruption, Development and Institutional Design*. https://doi.org/10.1057/9780230242173_2

¹⁰ Richters, K. (2012). *The post-soviet Russian orthodox church: Politics, culture and greater Russia. The Post-Soviet Russian Orthodox Church Politics, Culture and Greater Russia*. <https://doi.org/10.4324/9780203115732>

¹¹ Olikier, O. (2017). Putinism, Populism and the Defence of Liberal Democracy. *Survival*. <https://doi.org/10.1080/00396338.2017.1282669>

وبنت قوميتها وشعبويتها الجديدة بتقديم "الروسنة" كخليط ما بين الهوية والرمزيات الروسية ما قبل الاتحاد السوفييتي وأثناءه،¹² حيث قارن العديد من الباحثين لمقارنته بسياسيين ما بعد شعوبيين أو ديكتاتوريين¹³.

لذلك نجد أن هناك الكثير من الاتهامات الروسية، مثل المعارض بوريس نيمتسوف، وغير الروسية لبوتين بتبني الشعبية للسيطرة على الحكم واللعب على حساسية المواطنين الروس سياسياً واجتماعياً¹⁴. أما بالنسبة لبوتين، فإن حالة الحرب وانخراط روسيا في حالة حرب توفر له المساحة الكافية لتأطير المجال السياسي لصالحه، فكما يحاجج فوكو، السياسة بالنسبة لبوتين هي استمرار الحرب. فكان إعلان الحرب على المافيا والجريمة، تشديد القوانين، حرب الشيشان وانتصاره فيها، حرب جورجيا، حرب أوكرانيا وأخيراً حرب روسيا هي الطريقة التي فاز بها بوتين بالدعم الروسي بمساعدة الكنيسة الأرثوذكسية. كما أن وضع الشعب الروسي أمام خيارين هما الفوضى أو القبول بوضع أكثر شدة (شعبي) أدى إلى اختيار الروس للخيار البوتيني¹⁵.

هناك العديد من الدراسات التي تحدد ماهيات الشعبية وحركاتها في العديد من الدول بما فيها روسيا كمثال على ذلك. ووضع الدراسون لهذه الظاهرة العديد من المحددات والشروط والصفات، كما ذكرنا أهمها سابقاً. اتبع بوتين العديد من هذه المحددات وعمل على تعزيز مكانته السياسية بعد انتخابه كرئيس. بعد ذلك بدأ بوتين بتشديد المركزية السياسية في يده والتضييق على المجتمع المدني وتحييد المعارضين. واستمر بوتين في استخدام الهجين القومي كعمول أساسي في شعوبيته مضيفاً إليه بهارات عنصرية ككراهية الأجانب، ولكن يبقى بوتين ينظر له كقائد لنظام يختلف عن الأنظمة أو القيادات الشعبية في دول أخرى مثل ترامب في أمريكا أو فارج في بريطانيا أو اوريان في المجر. إن النظام السياسي والمجتمع الروسي يختلف اختلافاً جذرياً عن المجتمعات الغربية وهو أقرب من حيث الشبه للدول الشرق أوسطية في العديد من الظواهر الاجتماعية وهو ما يجعل وصف الشعبية غير شامل أو شائع لوصف بعض الدول الشرق أوسطية. ففي روسيا، كما في الشرق الأوسط، النضال ضد النخب السياسية ورؤوس الأموال وحملات مكافحة الفساد تختلف عن الغرب، حيث إن هذه ظاهرة الفساد مقبولة نوعاً ما كجزء من المنظومة الاجتماعية والتركيبية السياسية والمؤسساتية في روسيا ودول الشرق الأوسط. وتختلف مكافحة النخب ورؤوس الأموال فيتم التأثير عليها في روسيا ودول الشرق الأوسط من خلال رأس الهرم السياسي في ظل غياب الضغوط الشعبي على عكس المحددات الواضحة التي تقول بوجود وجود مقاومة قاعدية للنخبة.

¹² Fish, S. M. (2001). Putin's Path. *Journal of Democracy*, 12(4), 71–78; Fish, S. M. (2017). What Is Putinism? *Journal of Democracy*, 28(4), 61–75; Laruelle, M. (2009). *In the name of the nation: Nationalism and politics in contemporary Russia*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

¹³ Fella, S. ; & Ruzza Carlo. (2013). «Populism and the Fall of the Centre-Right in Italy: The End of the Berlusconi Model or a New Beginning. *Journal of Contemporary European Studies*, 21(1), 38–52; Fish, S. M. (2001). Putin's Path. *Journal of Democracy*, 12(4), 71–78; Fish, S. M. (2017)

¹⁴ Arjakovsky, A. (2017). Russia's headlong rush into populism. Retrieved June 12, 2019, from <https://bit.ly/2Rb5VT8>

¹⁵ Chen, C. (2011). Muddling Through the Shadow of the Past(s). *Demokratizatsiya: The Journal of Post-Soviet Democratization*; Hale, H. E. (2000). *Is Russian Nationalism on the Rise?* Cambridge.

إن تحليل المرحلة البوتينية الممتدة على مدار أكثر من أربعة عشر عامًا في ما يتعلق بالشرق الأوسط والطريقة التي يخلق فيها قاعدة شعبية لقراراته فإنه يستخدم مزيجًا من القومية الروسية والشعبوية السياسية كاستراتيجيات للمحافظة على قوة النخب السياسية التابعة له، وللتأثير على الأنظمة العربية الموالية أو المتأثرة بروسيا من جهة وفهم وتقييم العلاقة بين الشعبية الروسية والحركات الشعبية في دول أوروبا الأخرى¹⁶. وعلى هذا الأساس فإن مرونة بوتين كقائد شبه شعبي أتت من على منصة الشعبية وليس الانتخابات وحدها. جاء لأن إعداده وتميره كرئيس قادم من قبل؛ بعد أن تم، بطريقة شعبية وغير شعبية، تحييد كافة المعارضين وتقديمه كالمرشح الأكثر مناسبة وقدرة على إدارة الدولة. وعندما جاء بوتين مجددًا رئيسًا، عزز الشعبية والقومية الروسية أكثر.

من المهم أن نناقش فكرة الشعبية ليس كفكر شاذ أو حركة مضادة ورافضة للديمقراطية التي تعاني من معضلات جوهرية خصوصًا الديمقراطية الغربية. البعض يعتقد أن الشعبية والقومية وعداء المهاجرين والاستبداد هي تيارات راديكالية في المجتمعات الغربية وهو ما يعاكس تمام الحال في روسيا ودول الشرق الأوسط التي لم تتمكن من بناء مؤسسات ديمقراطية وهنا نجد التشابه الكبير بين روسيا ودول منطقة الشرق الأوسط مما يسهل تأثير روسيا صاحبة القوة العسكرية والسياسية على مصالح الدول العربية.

إذا، هل بوتين وروسيا البوتينية شعوبيان؟ أو هل يقود بوتين حراكًا شعبيًا إداً؟ وهل يحاول نشر الشعبية في البلاد الأوروبية ودول الشرق الأوسط؟ لا أعتقد أن بوتين، قائدًا شبه شعبي له قاعدة شعبية حيث يستخدم مزيجًا من القومية الروسية والقيم الدينية المحافظة مع سياسات شديدة وكسب ولاءات سياسية مناطقية وإقليمية (الشيشان مثلاً) مع خلق عدو خارجي (الإرهاب والتطرف والدول الغربية) لإبقاء حكمه مستمرًا. أما بالنسبة لمحاولات بوتين نشر الشعبية في الدول الأوروبية ودول الشرق الأوسط، فإن التدخلات الروسية أو شبهات التدخلات الروسية في الانتخابات الأمريكية وبعض الانتخابات الأوروبية تصب لا شك في مصلحة الروس لخلق أنظمة شعبية تتشابه وتتشابه مع الشعبية الروسية، إلا أنه في المنطقة العربية لا حاجة للروس بنشر الشعبية فالأنظمة العربية أغلبها أنظمة غير ديمقراطية تنتشر فيها الديكتاتورية والأنظمة الثيوقراطية والسلطوية والممالك، وبالتالي وصفها يكون أبعد من مجرد أنظمة شعبية نظرًا لوضوح معالم نظامهم السياسي في غياب الديمقراطية.

روسيا الشعبية والشرق الأوسط

لا شك أن بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، دخلت روسيا مرحلة تم فيها تهميش المنطقة العربية والحلفاء السابقين. لقد كانت السياسة الخارجية الروسية ضعيفة جدًا تجاه المنطقة وحاولت روسيا الحفاظ على موقف متوازن خارج إطار الصراعات في منطقة الشرق الأوسط من دون التدخل القوي. في تلك الفترة كانت روسيا تبحث عن هويتها الخاصة بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، وكانت السياسة الخارجية في المنطقة العربية متقاربة مع السياسة الخارجية الغربية إلى حد ما نتيجة المصالح الروسية في الغرب. ولكن بعد تولي بوتين السلطة، بدأت مرحلة جديدة من مراحل السياسة الخارجية البراغماتية، إذ حاولت روسيا بناء استراتيجية العلاقات الخارجية طبقًا لمصالحها الخاصة مبتعدة تدريجيًا عن الغرب.

¹⁶ Mudde, C. (2007). Populist radical right parties in Europe. Populist Radical Right Parties in Europe. <https://doi.org/10.1017/CBO9780511492037>

ولذلك عندما تولى بوتين زمام الحكم بدأ بعمليات انتقائية لسياسته الخارجية بما فيها التدخل العسكري واتسمت بدايات المرحلة البوتينية بالنشاط في المنطقة العربية¹⁷.

ان عودة روسيا الى المنطقة العربية بدأت لاهتمام روسيا بتعزيز مكانتها الاقتصادية والسياسية كقوة كبرى وكان تعزيز مكان روسيا في العالم عبر التدخل القوي في القضايا العالمية الشائكة تحمل رسالتين قويتين وهما نابعتان من السياسة البوتينية شبه الشعبية. الرسالة الأولى موجّهة ومبنية في ذات الوقت للقاعدة الشعبية الروسية التي تعتمد في بنائها على القومية الروسية والدينية المحافظة بمزيج من القيم السياسية والاجتماعية السوفييتية وما قبل السوفييتية. أما الرسالة الثانية مرتبطة بالأولى موجّهة للغرب وهي أن روسيا أصبحت قوة جديدة لا يمكن تجاهلها في القضايا العالمية بل وأصبحت لاعباً أساسياً. على كل حال فإن منطقة الشرق الأوسط كانت ساحة رئيسية لبوتين لتعزيز مكانته الدولية واستخدامها لتعزيز شعبيته وتقدم نظامه شبه الشعبي كبديل للأنظمة الغربية نظراً لتشابه الأنظمة والقيم المجتمعية المحافظة للروس والمنطقة.

عودة روسيا الى الشرق الأوسط بشكل واسع جداً كانت عبر المدخل الرسمي فقط، فالجاليات العربية في روسيا ليست كما في الدول الغربية ذات نشاط سياسي كبير ولا يوجد موجات هجرة عربية إلى روسيا. ولم تعد روسيا إلى المنطقة بخطابها الأيديولوجي المبني على أرضية قديمة، ولكن عبر الرغبة في التعاون الاقتصادي والعسكري من جهة¹⁸ واستخدمت أدواتها الجديدة (قناة أر تي مثلاً) لتقديم نفسها كبديل قوي للغرب وخصوصاً أمريكا. بدأت روسيا عملياً بتعزيز مكانتها في الشرق الأوسط منذ العام 2005 أي بعدما انتهى بوتين بتثبيت أواصر حكمه في الداخل وكسب الكنيسة الأرثوذكسية وبناء قاعدة شعبية قومية. فبين العام 2005 و2007 زار بوتين العديد من الدول في المنطقة، كما عمل على تعزيز مكانته في منظمة العالم الإسلامي حيث أن أكثر من 5% من سكان روسيا الاتحادية هم من المسلمين، فأصبحت روسيا عضواً في منظمة المؤتمر الإسلامي¹⁹.

ومن الطبيعي أن نظاماً يستخدم الأدوات الشعبية ويتقنها جيداً أن يتقن توظيف أدواتها النفسية والخطابية، وخصوصاً الخطاب الأيديولوجي المعادي للغرب مع تعزيز نظرية المؤامرة. لقد لجأت روسيا لدغدغة المشاعر العربية وهي تطرق أبواب المنطقة حيث السخط الشعبي على السياسات الأمريكية في المنطقة. فيرى الأغلبية أن دولهم بحاجة إلى تعاون وتقارب أكثر مع روسيا منه مع الولايات المتحدة، فبحسب استطلاع رأي الباروميتر العربي للعام 2011 فإن هناك اختلاف بين العرب بين من يرى ضرورة رفض الإصلاحات السياسية المفروضة أو المطالب بها خارجياً وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية. ففي حين يرفض 51% من الجزائريين و36% من العراقيين و40% من اللبنانيين و45% من التونسيين الإصلاحات المفروضة أمريكياً، يقبلها فقط على الأكثر 15% كما في الكويت وليبيا والسودان. في حين أن استطلاع الرأي الذي أجري ال عام 2016 حينما سؤل فيه المستطلعون عن تفضيلهم لتعميق العلاقات مع روسيا رأّت الأغلبية في تونس (52%)، مصر (50%)، لبنان (41%)، والمغرب (49%) أنهم يريدون علاقات أقوى مع روسيا مقارنة بالماضي، بينما في الأردن (42%)، وفلسطين (35%) عبروا عن رغبتهم بعلاقات أقل مع روسيا.

17 . الغريب، م. ن. (2018). العلاقات الروسية الغربية وتأثيرها على قضايا الشرق الأوسط

18 هاشم، ن. ج.، & طعمه، ا. ز. ا. (2015). الموقف الروسي من الثورات العربية. *Siyasat Arabiya*, 12, 112–127.

19 Lund, A. (2019). *Russia in the Middle East*. Stockholm.

إن التغييرات السريعة التي اتسمت بالعنف المفرط وارتكاب المجازر في بعض الدول العربية حيث انزلت سوريا واليمن وليبيا في أتون الحروب الأهلية والصراعات، ودخلت مصر في مرحلة حرجة تعاني منها حتى اليوم، قادت روسيا البوتينية إلى التخوف على مصالحها الاقتصادية في المنطقة، ورأت فيه فرصة كبيرة للتدخل في المنطقة وتعزيز مكانتها الدولية من خلال إدعائها محاربة الإرهاب التي تراه خطرًا جيوسياسيًا كبيرًا. ولكن روسيا عملت على تقييم الأوضاع في المنطقة حسب الدولة وليس باستراتيجية موحدة وهو ما نراه من تدخلاتها السياسية والعسكرية في المنطقة فهي تعمل حسب رؤيتها المحددة البراغماتية (لتوفير دعم شعبي قومي) في غياب استراتيجية واضحة المعالم²⁰.

فمنذ بداية الاضطرابات وما أطلق عليه الربيع العربي، كانت روسية حذرة جدًا تجاه دول الربيع العربي فتذبذبت المواقف الروسية بين ممانعة وصمت كما في تونس وأحيانًا عداً واضح كما في سوريا ومصر وهو ما يفسر عقلانية روسيا والبحث عن مصالحها الخاصة في الشرق الأوسط²¹. في تونس لم تعبر روسيا بشكل واضح عن موقفها سوى بعد سقوط الرئيس التونسي بن علي فقررت روسيا اللحاق بركب المهنيين والداعمين للتغيير الديمقراطي في موقف تأملت روسيا البناء عليه، وكان تصريح الرئيس الروسي آنذاك ميدفيديف محذرًا من تغييرات كبيرة في الحكومات ومطالبًا أيهم بإجراء إصلاحات شاملة والعمل لتحقيق تطورات شعوبهم²².

أما في مصر فكان الحال غير مختلف عنه في تونس. نالت مصر اهتمامًا كبيرًا نظرًا لقوتها السياسية في المنطقة والعالم العربي. فقد عبر الرئيس الروسي آنذاك عن موقف سريع محذرًا من مغبة الدخول في صراعات دامية وأن يكون الحل السلمي هو سيد الموقف متخوفًا من التطورات التي من الممكن أن تؤدي إليها هذه الاحتجاجات. وبالرغم من أن مبارك كان حليف الولايات المتحدة الأمريكية، وأن إزاحته من الممكن أن تجلب نظامًا جديدًا يمكنه التقارب من روسيا، إلا أن الإعلان عن تقبل ودعم الثورة المصرية جاء متأخرًا²³.

أما في ليبيا فعلى الرغم من عدم التدخل المباشر، كانت روسيا تعبر بشكل أوضح عن موقفها برفضها التدخل العسكري في ليبيا أو محاولة إسقاط نظام القذافي خشية انتشار التطرف والتشدد الإسلامي في المنطقة. لذلك رفضت روسيا الاعتراف بأي جسم مناهض لنظام القذافي بما فيه المجلس الوطني الانتقالي، ورفضت التدخل الغربي في ليبيا. كما رفضت الانضمام إلى مجموعة الاتصال الدولية ولكنها وافقت على قرار مجلس الأمن 1970 ولم تستخدم حق النقض الفيتو وهو ما ترجم كرفع للغطاء عن القذافي²⁴. أثار التدخل المباشر العسكري الغربي في ليبيا حفيظة بوتين الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء فقال إن الهجوم الغربي عبارة عن "حملة صليبية"، في خطاب شعبي يشابه خطاب الإسلاميين أحيانًا²⁵. وكانت

²⁰ Zvyagelskaya, I. (2016). Russia, the New Protagonist in the Middle East. In A. Ferrari (Ed.), *Putin's Russia: Really Back?* Milano: Italian Institute for International Political Studies.

. راشد، ب. (2013). المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية

. الشيخ، ن. (2011). مصالح ثابتة ومعطيات جديدة | .. السياسة الروسية تجاه المنطقة بعد الثورات العربية²²

²³ L. Haas, M., & Freedman, R. O. (2018). Russia and the Arab Spring. In *The Arab Spring*. <https://doi.org/10.4324/9780429494581-13>

²⁴ Dannreuther, R. (2015). Russia and the Arab Spring: Supporting the Counter-Revolution. *Journal of European Integration*. <https://doi.org/10.1080/07036337.2014.975990>

. راشد، ب. (2013). المصالح المتقاربة: دور عالمي جديد لروسيا في الربيع العربي. الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية²⁵

ليبيا بداية التدخل المباشر حيث عقدت لقاءات ما بين الحكومة الليبية والمعارضة في موسكو وطالب الرئيس الروسي معمر القذافي بالرحيل. وكما جاء اعتراف روسيا المجلس الانتقالي متأخرًا.

أما في الحالتين اليمنية والبحرينية فكانت روسيا غير مهتمة بشكل كبير بالأحداث هناك، بالرغم أن اهتمامها باليمن كان أكثر منه بالبحرين. ففي البحرين اعتُبرت الأزمة شأنًا داخليًا، في محاولة للحفاظ على العلاقات الروسية الخليجية التي ترى روسيا أن التعاون المشترك في مجال الطاقة أولوية وأن القاعدة الشعبية الروسية لا تولي اهتمامًا كبيرًا للبحرين والأقلية الشيعية العربية هناك. وفي اليمن حافظت روسيا كما الدول الغربية على العلاقات بين الجميع بما فيهم المعارضة اليمنية.

أما في سوريا فكان التدخل الروسي لافتًا بشكل كبير ومبررًا شعبيًا ودينيًا وسياسيًا بالنسبة للحقبة أو روسيا البوتينية. فكان الدعم الروسي واضحًا منذ بداية الأزمة ورفض الروس التدخل الدولي في سوريا بنبرة شديدة تدل على عدم رضى روسي عن منحى الأمور في الدول الأخرى كليبيا. كما عارضت روسيا والصين أي تدخل خارجي ضد الأسد وعارضت نقل السلطة كذلك في تشدد واضح على خلاف الموقف في كافة دول الربيع الأخرى حتى وصل الأمر لتوفير الدعم العسكري الروسي وإقامة قواعد عسكرية وتوفير دعم جوي للعمليات العسكرية السورية²⁶.

إننا نرى في مواقف روسيا تجاه الربيع العربي وفي الشرق الأوسط نابعة من شعبية بوتينية ممزوجة ببراغماتية سياسية، فمواقفها نبعث من خوف روسيا من انتقال الثورة إلى محيطها الجيوسياسي حيث تتشابه الدوافع في الداخل الروسي ومحيطه مع الدول العربية. وقد دعا مجلس الدوما الدول المجاورة في العام 2011 لإجراء إصلاحات وتغييرات لتحسين مستوى المعيشة وإحالة السكان²⁷. كما ارتاب بوتين، الذي كان يعمل على تشديد المركزية في حكمه، من وصول قوة ديمقراطية في المنطقة مما يقود إلى موجة جديدة من التحول الديمقراطي من الممكن أن تضرب روسيا، فبوتين الشعبي يحبذ ويفضل الديكتاتورين والقيادات المركزية والشعبوية على الديمقراطيين، حيث سهولة التعامل معهم والتأثير عليهم. وهو ما دعي بوتين نفسه للتعليق قائلاً إن عملية الديمقراطية الأمريكية فشلت في الشرق الأوسط لأنها تجهل المعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للشعوب العربية²⁸.

ولتبرير التدخل العسكري الروسي بشكل شعبي استخدم النظام الروسي أدواته الشعبية لتحقيق دعم شعبي من خلال الادعاء بأن روسيا تحارب الإرهاب في سوريا وأن زعزعة الأمن والاستقرار في سورية سيكون له عواقب وخيمة خصوصًا أن هناك الآلاف من المقاتلين القوقازيين يقاتلون في سوريا وأن عودتهم لروسيا تعني بداية عمليات إرهابية أو انفصالية في روسيا الاتحادية. كما عززت الكنيسة الروسية الأرثوذكسية موقف بوتين الشعبي من خلال توفير الدعم له بادعاء أن روسيا تتدخل للحفاظ وحماية المسيحيين الأرثوذكس في سوريا والمنطقة إلى جانب الشركس (١٠٠ ألف) حيث طلبوا المساعدة من روسيا.

نضيف أن روسيا الشعبية تفضّل دولاً عربية ديكتاتورية لا ديمقراطية يمكن من خلالها تحقيق مكاسب اقتصادية، فالربيع العربي خلق درجة وعي ونشاطية أعلى في الغرب لمنع تصدير السلاح والأدوات القاتلة لبعض الدول العربية كالسعودية

²⁶ Economist. (2015). The Economist explains: Why Russia is an ally of Assad . *The Economist*.

²⁷ Zikibayeva, A. (2011). *What Does the Arab Spring Mean for Russia, Central Asia, and the Caucasus?* Washington.

²⁸ Katz, M. N. (2012). Russia and the Arab Spring. Retrieved June 18, 2019, from

<https://www.mei.edu/publications/russia-and-arab-spring>

ومصر والإمارات وسوريا. فإن وجود نظم لا ديمقراطية يسهل عمليات وصفقات بيع الأسلحة الروسية التي لا تتطلب وقتاً طويلاً ولا تتطلب، كما يحدث الآن، بيروقراطية عالية ومعارضة شعبية ورسمية كما في الدول الغربية. إن ذلك يسهل الصفقات الاقتصادية والعسكرية الروسية مع الدول غير الديمقراطية.

أما التأثير غير المباشر للشعبوية الروسية على دول المنطقة العربية فيتمثل بالتأثير المباشر على بعض الدول الغربية ودول أمريكا اللاتينية، فمحاولات روسيا التأثير على نتائج انتخابات العديد من الدول الأوروبية ظاهرة للعيان حيث يدعم النظام الروسي الأنظمة الشعبية التي لها تأثير على أحزابها وقياداتها بشكل كبير، ففي الولايات المتحدة الأمريكية، ما زالت أركان النظام الأمريكي مشتتة بسبب التحقيقات التي توصلت إلى وجود تدخل روسي في الانتخابات الأمريكية دعمًا للرئيس الأمريكي حيث تناقش ورقة الشعبية الأمريكية التأثير الكبير للشعبوية الأمريكية على دول المنطقة²⁹. إضافة إلى ذلك، الشعبية الإيطالية المتمثلة بحزب رابطة الشمال والنجوم الخمسة التي كشفت الأخبار سابقاً عن تلقي سالفيني لملايين اليوروهات من مصدر روسي دعمًا لموقعة السياسي³⁰. وكذلك الدعم الذي قدمته روسيا أو حاولت تقديمه للأحزاب الشعبية اليمينية المتطرفة المعادية للاجئين والإسلام في النمسا، ففي مايو 2019 كشفت فضيحة عن الدور الروسي في دعم حزب الشعب النمساوي³¹. أما في بريطانيا فهناك علامات كبيرة على تدخلات روسية في دعم حملة الخروج من الاتحاد الأوروبي الشعبية³². أما التأثير الروسي الأكثر وضوحاً هو في أوروبا الشرقية كالمجر وجمهورية صرب البوسنة، ففي المجر يشكل رئيس الوزراء المجري أوربان رأس الحربة في الشعبية الشرق أوروبية حيث يتمتع بعلاقات قوية مع بوتين والكرملين في حين يهدم البيت الديمقراطي المجري ويجاهر بعدائه للمسلمين واللاجئين ويقف بجانب إسرائيل³³، بينما يعتبر دوديك، رئيس جمهورية صرب البوسنة رجل بوتين في البوسنة بعلاقاته التجارية والسياسية الواسعة مع حاشية بوتين والتي تؤثر على العلاقات الإسلامية البوسنية من جهة وعلى علاقات العديد من دول العالم الإسلامي مع صرب البوسنة³⁴.

روسيا والقضية الفلسطينية

لم يكن اهتمام روسيا بالقضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني جديداً، بل يمتد منذ بداية الثورة البلشفية إذ بدأ إيلاء الاهتمام بشكل حصري لما يدور في فلسطين كقضية صراع طبقي حيث كان هناك استنكار للصهيونية ولمطالبات اليهود بإقامة وطن قومي لهم³⁵. في تلك الفترة تشكل الحزب الشيوعي الفلسطيني وكان من مؤسسيه بعض اليهود الروس بالإضافة لبعض

²⁹ Weisburd, A., Watts, C., & Berger, J. (2016). Trolling for Trump: How Russia Is Trying to Destroy Our Democracy. *War on the Rocks*.

³⁰ Nadeau, B. L. (2019). An Italian Expose Documents Moscow Money Allegedly Funding Italy's Far-Right Salvini. Retrieved June 6, 2019, from <https://www.thedailybeast.com/an-italian-expose-documents-moscow-money-allegedly-funding-italys-far-right-salvini>

³¹ Bell, B. (2019). Austria scandal: Mystery of the honey-trap video. Retrieved June 6, 2019, from <https://www.bbc.com/news/world-europe-48378320>

³² Telegraph. (2018). Russian trolls sent thousands of pro-Leave messages on day of Brexit referendum, Twitter data reveals. Retrieved June 6, 2019, from <https://bit.ly/2Kvdi6H>

³³ Gricius, G. (2019). Hungary's Relationship with Russia Poses a Risk for Europe. Retrieved June 6, 2019, from <https://bit.ly/2Xuxxor>

³⁴ Colborne, M. (2018). One of Bosnia's New Presidents May Want to Break the Country Apart. Retrieved June 6, 2019, from <https://bit.ly/2HY5jx8>

³⁵ Laqueur, W. (1959). *The Soviet Union and the Middle East*. Praeger.

الفلسطينيين³⁶. وحتى عام 1948 لم يكن هناك اهتمام كبير لما يجري في فلسطين حيث كانت روسيا منهكة في الحرب ضد النازية والفاشية. التحول الكبير لاهتمام روسيا بالقضية الفلسطينية جاء بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وإعلان قيام دولة إسرائيل حيث كان الاتحاد السوفييتي أول دولة اعترفت بإسرائيل³⁷. ومنذ سنوات الخمسينيات بدأ الدعم السياسي السوفييتي للقضايا الفلسطينية يتعاظم حتى وصل أن قامت بعض الدول الاشتراكية مثل ألمانيا الشرقية بتقديم الدعم العسكري للفلسطينيين من خلال توريد أسلحة للفلسطينيين³⁸. ولكن انحدر اهتمام الاتحاد السوفييتي بالقضية الفلسطينية وبالشرق الأوسط بشكل خاص منذ قدوم خورباتشوف للسلطة حيث كان الاهتمام بالقضايا العالمية ليس أولوية خصوصاً أن محاولة روسيا تخفيف التوتر والتقرب من الغرب في ظل الإصلاحات أولوية³⁹. ومع انهيار الاتحاد السوفييتي وانتقال مئات الآلاف الروس للعيش في إسرائيل، تغيرت مواقف روسيا لتكون أقرب إلى الحيادية، واندفع التعاون الروسي-الإسرائيلي في كافة المجالات على حساب دعم القضايا الفلسطينية، ودعمت روسيا اتفاق أوسلو وعملية السلام في تقارب كبير لمواقف الروس مع الغرب وأمريكا في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية. ومع مجيء بوتين للسلطة بدأت المواقف الروسية تتخذ استقلالية في ظل محاولات روسية للعب دور أكبر والبحث عن سبل تعاون اقتصادي وتجديد العلاقات مع الدول العربية. ومن الجدير بالذكر هنا أنه يجب مقارنة تغيرات المواقف الروسية بفترة يلتسين وليس بفترة الاتحاد السوفييتي حيث حقبتين مختلفتين ونظامين عالميين مختلفان.

وبعد سيطرة بوتين على مفاصل الحكم السياسية بدأ الانتباه للقضايا العالمية ليعيد روسيا إلى الساحة الدولية استجابة للشعبوية الوطنية الروسية التي رأت أن موقع روسيا هو في عودة قوتها السابقة. ومن هنا بدأت روسيا بلعب دور كبير حيث أصبحت السياسة الخارجية الروسية أحد أركان حكم بوتين داخلياً وخارجياً، فمنذ العام 2005 تعتبر روسيا عضو الرباعية الدولية كوسيط بين الفلسطينيين وإسرائيل منذ 2002.⁴⁰ وفي العام 2007 دعت روسيا لإشراك حركة حماس في العمل السياسي وقبولها كشريك سياسي بعد فوزها في الانتخابات التشريعية، كما استقبلت موسكو رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل مرتين عام 2006 و 2007 في خطوة يراها البعض تغاض واضح للغرب الذي يصنف حركة حماس كحركات إرهابية⁴¹. واستمر بوتين في محاولة لعب دور أكبر في القضية الفلسطينية إذ استقبل الرئيس محمود عباس مرات عدة كما زار الأراضي الفلسطينية مرات عدة منذ تولية الحكم. وينبع الاهتمام الروسي بالقضية الفلسطينية من عاملين أساسيين أحدهما داخلي وآخر خارجي. يعود العامل الداخلي لوجود ملايين المسلمين الروس الذين يحاولون استمالتهم، كما يحاول اللعب على وتر الدين المسيحي إذ يستخدم بوتين مسيحيتته كأداة من أدوات شعوبيته، وحيث أن روسيا لها أملاك كبيرة في الأراضي الفلسطينية مملوكة للكنيسة، يقدم بوتين نفسه عبر لعبة الدور الكبير كالمحافظ على تاريخية روسيا في الأراضي المقدسة.

³⁶ Smooha, S. (1990). Minority status in an ethnic democracy: The status of the Arab minority in Israel. *Ethnic and racial studies*, 13(3), 389-413.

³⁷ Shamir, Y. (1982). Israel's role in a changing Middle East. *Foreign Affairs*, 60(4), 789-801.

³⁸ Traboulsi, F (2018). *I am the last Communist: George Al Batal*, Al-Mada Publishing House.

³⁹ وسام أبي عيسى (٢٠١١). الموقف الروسي تجاه حركة حماس (٢٠٠٦-٢٠١١) مركز الزيتونة للدراسات، بيروت.

⁴⁰ Aljazeera (2011), The Quartet. 16/09/2011. Accessed 27/06/2019: <https://bit.ly/2LnznEE>

⁴¹ الأيام (٢٠٠٧). خالد مشعل في موسكو يبحث عن دعم روسي. 26/02/2007 تاريخ الوصول: 27/06/2019: <https://bit.ly/31PqY2q>

كما أن وجود أكثر من مليون ونصف المليون روسي في إسرائيل يحتم وجود علاقات روسية إسرائيلية نظرًا إلى تأثير الروس في المجتمع الإسرائيلي وكذلك العامل الاقتصادي الذي يشكله وجود هذا العدد من الروس بروسيا الأم⁴².

أما العامل الخارجي هو محاولة روسيا لعب دور أكبر في القضايا العالمية كقوة مناهضة للغرب بقيادة الولايات المتحدة خصوصًا بعد التباعد الكبير بين الروس والغرب في العديد من القضايا الدولية خصوصًا في جورجيا وجزيرة القرم، الدرع الصاروخي، أوكرانيا، سوريا، ومؤخرًا في فنزويلا⁴³.

ومن هنا نجد أن محاولات روسيا لعب دور رئيسي ومحوري في القضية الفلسطينية مع الحفاظ على علاقتها مع إسرائيل يشكل أولوية في ظل المتغيرات الدولية والإقليمية خصوصًا في روسيا. فمن القمة الروسية الإسرائيلية الأمريكية مؤخرًا إلى محاولات روسيا⁴⁴ إصلاح الفلسطينيين المنقسمين، وتقاربها مع حركة حماس بهدف إقناعها الانخراط أكثر في عملية سياسية أكثر اعتدالًا، ورفضها اعتراف واشنطن بالقدس عاصمة لإسرائيل وضمها للجولان، حيث صوتت في الأمم المتحدة لصالح الفلسطيني ورفضت بشكل كبير سياسات واشنطن وسياسات إسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة⁴⁵. ونرى أن روسيا تتقارب من كافة الأطراف مع الحفاظ على رؤية مستقلة عن الغرب حتى وصل الأمر بالرئيس عباس بالطلب من روسيا أن تكون الراعي الرئيسي لعملية السلام⁴⁶ وهو ما يعزز شعبية والرؤية الشعبية لبوتين داخل المجتمع الروسي. ففي شباط/فبراير 2019، رفضت روسيا المشاركة في مؤتمر وارسو، واستقبلت واشنطن بدلاً من ذلك القيادة الفلسطينية التي رأت في موسكو ملجأً للتعبير عن رفضها لمؤتمر وارسو الذي هدف إلى تصفية القضية الفلسطينية⁴⁷. من هنا نجد أن الدور الروسي الجديد في القضية الفلسطينية هو دور محوري ينبع من محاولة بوتين تقديم روسيا كقوة كبيرة ذات وزن دولي تلعب دورًا في أشد المناطق حساسية، حيث أن السياسة الخارجية الروسية هي أحد أدوات بوتين للتأثير على الداخل الروسي كذلك كمسلمين ومسيحيين أرثوذكس، أما إبقاءه كلاعب أساسي في القضية الفلسطينية إلى جانب موقعة كمقرر رئيسي في سوريا يكسبه قدرة المناورة مع الولايات المتحدة وأوروبا ودول الخليج بمن فيهم إيران، فيرى بوتين في القضايا الدولية، وخصوصًا الفلسطينية، أوراق قوة على الساحة الدولية توفّر دعمًا داخليًا وخارجيًا.

روسيا تحارب الإرهاب

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وجد بوتين الفرصة سانحة له لاستغلال الحرب على الإرهاب لتحقيق مطامح شخصية ومنها تبرير الحرب الروسية في الشيشان والتي اشتملت على انتهاكات خطيرة لحقوق الإنسان حيث شاركت بعض عناصر

⁴² Rozovsky, L., & Almog, O. (2011). Generation 1.5 Russians in Israel: from Vodka to Latte. Maturation and integration processes as reflected in the recreational patterns. Sociological Papers, 16, 1.

⁴³ Lucas, E. (2014). *The new Cold War: Putin's Russia and the threat to the West*. Macmillan.

⁴⁴ WSJ (2019), U.S, Israel Look to Coax Russia Away from Iran Alliance. 24/06/2019. Accessed 27/06/2019: <https://on.wsj.com/2NatBZw>

⁴⁵ SkyNews (2017). قائمة الدول التي صوتت "مع" و"ضد" قرار القدس. 21/12/2017. تاريخ الوصول: <https://bit.ly/2XAC8st> 27/06/2019.

⁴⁶ النجاح الاخباري (2019) روسيا تعلن توسعها لحل القضية الفلسطينية. موقع النجاح الاخباري. 23/11/2018. تاريخ الوصول: 27/06/2019: <https://bit.ly/2NfokQk>

⁴⁷ شبكة فلسطين الإخبارية (2019). قمة وارسو "تهدف لتصفية القضية الفلسطينية وتدعو روسيا لعقد مؤتمر دولي بديل يفضي إلى إخلاء الاحتلال فورًا. 11/02/2019 تاريخ الوصول: <https://bit.ly/2xqxjnf> 27/06/2019

القاعدة والإسلاميين في حرب الشيشان⁴⁸. وبعد نجاح روسيا في تحويل الصراع الشيشاني -الروسي إلى صارع شيشاني داخلي، أخذت الحرب شكلاً إثنياً أو دينياً مما سمح لروسيا بتصوير الأمر وكأنها حرب ضد مجموعات إرهابية. ومع انخراط روسيا في الحرب على الإرهاب، تلاشت الرؤية الأمريكية الروسية المشتركة مرة أخرى بعد حرب العراق، ومحاولات أمريكا التأثير على دول آسيا الوسطى ونشر الدرع الصاروخي⁴⁹، إذ نجح بوتين خلال تلك الفترة في تعزيز مكانته الشعبية من خلال تعزيز صورته كرجل لا يمكن الاستغناء عنه كقائد روسيا في المحافل الدولية. ومنذ العام 1990 حتى العام 2010 كانت أعداد الهجمات الإرهابية والتجبريات في روسيا تتذبذب بين المئة والمئتين بما فيها أحداث شهيرة، كذلك التي فجر فيها الإسلاميون مدرسة بعد حصارها وأخذوا الطلبة كرهائن⁵⁰.

بعد العام 2011 وبداية الربيع العربي، كانت روسيا حذرة بشكل كبير من وصول الإسلاميين إلى الحكم أو دخول المنطقة في حالة فوضى كما حدث في أفغانستان والعراق. كما ان أحد أسباب القلق الروسي هو الخوف الروسي من تجمع الجهاديين بالقرب من حدودها القريبة حيث تعتبر سوريا والعراق ليست بعيدة كثيراً عن روسيا، كما أن بوتين أراد أن يثبت أنه لن يتخلى عن حلفائه كما حدث مع القذافي سابقاً، بالإضافة إلى تعزيز موقعه الدولي كلاعب أساسي في الحرب على الإرهاب. وحسب تقرير نشر في 2016 واقتبس في تقرير مركز العلاقات الخارجية السويدي، هناك شائعات سرت بأن روسيا سهلت انتقال العشرات من المقاتلين والجهاديين الروس إلى سوريا والعراق للتخلص منهم قبل أولمبياد سوتشي، ومن ثم قامت بحملة ضد البقية بعد انتهاء الأولمبياد⁵¹. ومع استمرار الأحداث السورية أعلنت روسيا على لسان الناطق باسم الخارجية الروسية أن الفشل في سوريا كما في ليبيا هو "تهديد للأمن القومي الروسي"⁵² وبناءً على ذلك، كان التدخل الروسي المباشر في سوريا من خلال إرسال مقاتلات روسية وجيوش برية وتعدى ذلك لتوسيع القواعد الروسية واستخدام صواريخ عابرة للقارات للمرة الأولى.

وبعد تدخل روسيا في سوريا، انبرى المحللون الغربيون والعرب لتحليل أهداف الروس في سوريا، وكان أحد أهم الأصوات الصحافي المصري المخضرم محمد حسنين هيكل الذي قال إن بوتين يريد إعادة أمجاد الاتحاد السوفييتي عبر بوابة سوريا وضعف الولايات المتحدة في المنطقة⁵³. ولكن هناك أسباب أخرى، كما أسلفنا سابقاً، وهي أن روسيا من خلال إعلانها الحرب على الإرهاب من بوابة سوريا أرادت أن تثبت أن جيشها قوي وأن قدراتها الدفاعية والهجومية أكثر تعقيداً مما تتصوره

⁴⁸ دويتش فيلا (2006)، الحادي عشر من سبتمبر يلحق روسيا بركب التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب. 07/09/2006 تاريخ الوصول 29/06/2019 <https://bit.ly/2KLO70D>

⁴⁹ Zygar 2018, pp. 54–60. On Russian objections to US missile defense plans, see Ida Nygaard and Una Hakvåg, "Why Russia opposes a NATO missile defense in Europe – a survey of common explanations," Norwegian Defense Research Institute

⁵⁰ National Consortium for the Study of Terrorism and Responses to Terrorism. (2016). Global Terrorism Database (globalterrorismdb_0616dist.xlsx). Retrieved :<https://bit.ly/2Nn6evW>

⁵¹ ارون لوند (2019)، روسيا في الشرق الأوسط. المعهد السويدي للشؤون الدولية.

⁵² "МИД РФ: разрушение государственности Сирии станет угрозой национальной безопасности России," TASS, September 18, 2015, <https://tass.ru/mezhdunarodnaya-panorama/2275002>. Translation by Liliia Makashova

⁵³ Al-Masry Al Youm (2015) "هيكل بوتين يريد استعادة أمجاد الدولة السوفيتية بتدخله في روسيا" , October 9, 2015 29/06/2019 <https://bit.ly/2JhJg8M> .

الدول الغربية وبل وقدرتها على التحرك بسرعة ومكافحة الإرهاب على مستوى إقليمي ودولي⁵⁴. أما الأسباب الأخرى فتشمل إثبات روسيا أنها قوة تتحكم في مفاصل الأمور في بعض المناطق في العالم، وتطوّر هذا الأمر لتكون اللاعب الرئيسي في سوريا وما حولها، بما فيها أن تكون المفصل الأساسي حاليًا (بعد تحلي ترامب) في الاتفاق النووي الإيراني حيث ترفض روسيا أي تدخل أمريكي ضد إيران بما فيها العقوبات. أما إقليميًا فنجح بوتين في تحويل تركيا إلى حليف غير معن أو حليف محايد في الحرب في سوريا وتحت تأثير روسي بالرغم من كونها أحد أعضاء الناتو. فما الخلاف الأخير حول صفقة نظام الحماية الصاروخي بين تركيا والولايات المتحدة إلا نتيجة التقارب الروسي التركي الذي بدأ بعد الحرب السورية وتدخل روسيا بشكل مباشر⁵⁵.

كما أن حرب روسيا على الإرهاب، كما أعلنت، قادت إلى التعاون الروسي المصري حيث أن إسقاط الطائرة الروسية فوق سيناء عزز موقف موسكو بضرورة تعاون مصري روسي في مكافحة الإرهاب، ففي العام 2019، التقى الرئيس بوتين والسياسي على هامش قمة منتدى الحزب وأشد السيسى بالتعاون المشترك في مجالات عدة بما فيها مكافحة الإرهاب⁵⁶. إن حرب روسيا المعلنة على الإرهاب هي انعكاس لرؤية بوتين الشعبية التي ترى أن التدخل في الشؤون الدولية عبر الفرض والتغزات لتحقيق أهداف سياسية شخصية وشعبوية أكثر نجاحًا للوصول إلى توازن مع دول الغرب، خصوصًا الولايات المتحدة، فمنذ بداية حملات الحرب على الإرهاب حتى الآن نرى أن روسيا تتخرط فقط في العمليات التي تحقق لها نتائج سياسية داخليًا وإقليميًا مع المحافظة على الوجه الشعبي لتلك التدخلات كما حدث في سوريا (راجع الأقسام السابقة).

العودة من جديد

يبدو أن روسيا البوتينية شبه الشعبية باقية في الشرق الأوسط وستؤثر فيه بشكل أوسع خلال السنوات المقبلة. فدورها المحوري في سوريا ومحاولات البحث عن أدوار أخرى في المنطقة يعزز من دورها الإقليمي والدولي. صحيح أن أسباب انخراط روسيا في الشرق الأوسط هي مصالحها الاقتصادية والسياسية ولكننا في هذه الورقة نحاجج بأن هناك الشعبية البوتينية التي عززت وسارعت من انخراط روسيا بعمق في المنطقة وسياساتها ليس فقط سياسيًا كلاعب دولي ولكن عسكريًا من خلال التأثير على الشعوب. إن الشعبية الروسية أحد المحركات الرئيسية لروسيا كي تتدخل في المنطقة، فمن جهة يرى بوتين أن وجود صراع عسكري وانخراط روسيا فيه يعزز من مكانته ويبقيه شخصًا فاعلاً وقويًا أمام شعبة وقاعدته وكذلك أمام العالم بأنه يملك مفاتيح تتعدى حدود روسيا. كما أن وجود أنظمة غير ديمقراطية في المنطقة يخدم روسيا البوتينية والشعبوية البوتينية عبر مصالح اقتصادية وعسكرية مشتركة وكذلك تجنب موجة رابعة من الديمقراطية والتحول الديمقراطي في المنطقة من الممكن أن يمتد لروسيا وما حولها.

⁵⁴ Roger McDermott (2015), "Russia's Strategic Mobility and its Military Deployment in Syria," FOI Memo 5453, RUFBS Briefing No. 31, Swedish Defense Research Institute, November 2015, <https://bit.ly/2XeFpK9>

⁵⁵ The Conversation (2018), Russia's grand Strategy. The Conversation. 16/11/2018. Accessed 29/06/2019: <https://bit.ly/2Uoj3W9>

⁵⁶ الأهرام (2019) بوتين يشيد بجهود السلطات في تأمين المطارات. جريدة الأهرام. 26/04/2019 تم الوصول: <https://bit.ly/2NBHDUn> 29/06/2019

عودة الروس: الشعبية الروسية وتأثيرها على منطقة الشرق الأوسط

إننا نرى أن التأثير الروسي انعكس عبر تأثير مباشر أفقي إذ أثرت السياسات الروسية البوتينية على الشعوب العربية ومجرى الأحداث، وكذلك عبر تأثير غير مباشر عبر دعم الحركات الشعبية في أوروبا الغربية وأمريكا إذ أثرت تلك الحركات الشعبية على الجاليات العربية بشكل أكبر منه على الأنظمة العربية.

